الغرض من التربية

تحديده وبيان عيوب التعليم فى مصر

للاستاذ حامد عبد القادر

المدرس بدار العلوم

١ — الواجب على كل من يقوم بعمل من الاعمال لا سيما اذا كان ذلك العمل فناً من الفنون أن يعرف الغاية التى يسعى نحوها ، ثم يتخير أحسن الوسائل ، وأقوم السبل التى تفضى به الى تلك الغاية . ثم يشرع فى العمل ، واضعاً نصب عينيه ذلك الغرض الذى يعمل من أجله دائما .

ومن حيث إن التربيـة من أهم الفنون التى يتولاها الانسان — إن لم تكن أهمها — وأشدها اتصالا بالحياة ، فمن الواجب علينا نحن المربين أن نعرف الغرض منها ، أو الاغراض التى ترمى اليها قبل الشروع فيها لنكون على بينة من أمرنا وليسهل علينا أن نسدد خطانا نحو ذلك الغرض بدلا من أن نخبط خبط عشواء ، ثم نهيم فى الفضاء ، لا ندرى أين السبيل ، ولا نعرف كيف يكون المسير !

٢ — وإننا لو قرأنا تاريخ التربية لعلمنا أنه لم يكن لها غرض واحد أو أغراض خاصة سعى نحوها المربون فى جميع العصور المختلفة ، ولكننا نجد أن هناك أغراضاً متعددة تختلف باختلاف العصور والامم والبيئات ، فمن الطبيعى أن اختلاف العصور وتباين البيئات والاوساط الطبيعية والاجتماعيـة ، واختلاف الامم من حيث مواهبهم ، ومشاربهم ، ومنزلتهم فى الحضارة وتقليداتهم التى ورثوها عن أسلافهم — كل هذه ولا محالة تؤدى الى اختلاف فى الغرض من التربية .

٣ — ولكن هذه الاغراض على اختلافها وتعددها يمكن حصرها فى غرضين : الاول الثقافة الشخصية والثانى الكفاية العملية ، فالاول يرمى الى جعل الغرض من التربيـة علمياً فردياً والثانى يعلق أهمية كبرى على الناحية العملية الاجتماعية على أن هذا الاختلاف هو فى الحقيقة نسبى فقط ، فليس من المعقول أن القائلين بالغرض الاول يهملون العمل ، كما أنه

ليس من الصواب أن نقول إن الفريق الثاني لا يأبه بالعلم ولا يقيم للثقافة الشخصية وزناً — فكلا الفريقين يعترف بوجوب قرن العلم بالعمل ، و بضرورة العناية بهما معاً ، ولكن هذا يجعل للعمل المنزلة الاولى والمقام الأسمى ، وذاك يدعو الي الثقافة العلمية أكثر مما يدعو الى الكفاءة العملية . والخلاصة أن الفريق الاول أميل الي المذهب الروحانى ، والثانى الي المذهب المادي النفعى ، وأن أنصار المذهب الروحانى ينظرون الي الحياة نظرة خالية من شوائب المنفعة الذاتية ، بعيدة عن المطامع المادية ، و يقدسون الثقافة من حيث هى لا من حيث ما تجلب من المنافع أو تدفع من المضار . بينما أن أنصار المذهب المادى يعتبرون هذا العالم وما فيه غاية لا بد من الانتفاع بها ، لا وسيلة لحياة أخرى أو منزلة أسمى ، ولذلك يقدرون الاعمال بفوائدها الدنيوية ومنافعها الحيوية .

٤ — والظاهر أن المذهب الروحانى كانت له الغلبة منذ القرون الوسطي حتى أوائل القرن التاسع عشر ، فالغرض من التربية فى تلك العصور كان على العموم الثقافة الشخصية ، ولكن هذا الغرض تشكل بأشكال مختلفة ، وظهرت له نواح متعددة أهمها خمس وهي : —

(١) الثقافة الدينية . (٢) الثقافة الارستقراطية الفنية والاجتماعية . (٣) اكتساب العلوم والمعارف العامة . (٤) تهذيب العقل و رياضته رياضة تامة . (٥) تحقيق الشخصية الفردية والاعتراف بمنزلة الفرد فى الحياة .

هذه هى نواحى الثقافة الشخصية التى كان لها التسيطر خلال تلك القرون الماضية ذكرناها لك على حسب الترتيب الزمنى ، و إنك لتستشف من و رائها ناموس الطبيعة يعمل فيها و يؤثر عليها ، إذ أنها خضعت لقانون النشوء والارتقاء ، وتطورت تطوراً تلمح من خلاله شبح الكفاية العملية وهو يظهر شيئا فشيئا من وراء ستار الثقافة الشخصية ظهوراً آخذاً فى الزيادة على مر القرون .

تلك حقيقة لها من الاهمية ما يبرر الوقوف عندها لاستيفائها حقها من العناية والبحث ، ولهذا نود أن نعرض عليك تلك النواحى الآنفة الذكر واحدة واحدة ونبحثها بحثاً مختصراً كى نتبين صحة هذه الحقيقة ونتعرف الاسباب التي أدت الي تطور الغرض من التربية وانتقاله من ناحية الي أخري فاليك البيان .

١ — الثقافة الدينية

مما لا نزاع فيه أن الغرض من التربية فى القرون الوسطى أى فى ذلك العصر الذى انتشرت

فيه الديانة المسيحية وقوى شأنها فى أوربة كان دينياً أكثر منه دنيوياً ، فكان المثل الأعلى للحياة هو الحياة الدينية التى يكون الغرض منها تطهير النفس من الرذائل ، وازدراء هذا العالم وما فيه من لذات ومسرات فانية ، والاستعداد للآخرة وما فيها من نعم دائمة ، ومزايا خالدة ، وكانت المعيشة داخل الأديرة والكنائس أشرف وأعظم شأناً من المعيشة خارجها — وقد ظلت السيطرة لهذه الناحية من أغراض التربية فى أوربة حتى بعد إنشاء الجامعات وإقبال الطلبة على دراسة الطب والقانون ، ولم يكن هذا من مبتدعات القرون الوسطى فاننا نجد له أثراً فى تعاليم أفلاطون المربى اليونانى الكبير الذى يقول في جمهوريته إن من أغراض التربية « أن نطلق سراح الاسرى (الجهلة) ونحررهم من أغلالهم ، ونخرجهم من عالم الظلمات الى عالم النور ، ومن الكهوف والمغارات السفلى الى عالم الشمس والحرية ، وأن نرفع أرقى الطباع النفسية الى منزلة تفكر فيها فى خير شىء فى الوجود »

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن الدين الاسلامى الذى ظهر فى آسيا بعد ظهور المسيحية جاء بالأمرين السابقين معاً فدعا الي الثقافة الشخصية الدينية والى الكفاءة العملية الدنيوية ، يدل على ذلك قوله تعالي « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقول النبى صلي الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » على أن قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » يحملنا على القول بأن الغرض الاساسى من تعاليم الدين الاسلامى كان أخلاقياً ، إذ أنه كثيراً ما يحث على حسن المعاملة والصدق والامانة واصلاح ذات البين ودفع السيئة بالحسنة وغير ذلك من الامور التى تشمل الخصال الحميدة والاخلاق الفاضلة .

على أن نظرة عميقة فى آداب الدين الاسلامى تحملنا على القول بأنه يدعو الي الثقافة الشخصية كما أنه يحض على الآداب الاجتماعية ، فنظامه ديني دنيوى ، شخصي اجتماعي .

ب — الثقافة الارستقراطية

لم يكد ينتهى القرن الخامس عشر إلا وقد ظهر فى العالم آثار حركة فكرية علمية كبرى بذرت بذورها فى القرن الثاني عشر ثم نمت وترعرعت ونضجت وآتت أكلها فى أوائل القرن السادس عشر ، وكان من أهم مظاهر تلك الحركة إحياء العلوم والمعارف القديمة واختراع البارود واستعماله فى الحروب وكشف أمريكا واختراع الطباعة وظهور مذهب كوبرنيق الالماني (القائل بأن الشمس هى مركز النظام الشمسى المبطل لمذهب بطليموس القائل بأن الارض هي التى تدور حول الشمس)

وقد كان نصيب التربية من هذا الانقلاب الفكرى وتلك الثورة الاجتماعية كبيراً جداً فانها اضطرت لتحويل مجراها وانتهاج سبيل آخر كما تقضى به الظروف ، فأخذ المربون يعنون بالثقافة الفنية بنوع خاص ، وينادون بوجوب التحرير من استعباد الكنيسة ، وأقبل الارستقراطيون على دراسة البلاغة والسياسة . ولما كان ذلك العصر عصر سلام وأمان نسبى . لاعصر خصومات وحروب كما كانت الحال فى العصور السابقة — أخذ القواد ورؤساء الجند يدرسون الادب ويعدون أنفسهم بالثقافة الادبية للاتصال بالملوك والامراء ، وزيارة الحكام فى قصورهم وحضور حفلاتهم ومنتدياتهم .

فأنت ترى من ذلك أن تيار الغرض من التربية قد تحول بهذه الثورة الفكرية الاجتماعية عن مجرى الثقافة الدينية البحتة وسلك مسلكا آخر هو الى الثقافة الفنية والاجتماعية أقرب .

حـ — اكتساب العلوم الكونية

وقد كان من نتائج الحركة الفكرية الاجتماعية الآنفة الذكر التى أدت الى الاطلاع على علوم القدماء والاحاطة بآدابهم أن فطنت الافكار الى غزارة علوم هؤلاء القدماء ، وبراعتهم فى البلاغة ، ومقدرتهم فى الادب ، فاتجهت عناية المربين الى الدراسة العلمية ولفتوا الانظار الى وجوب معرفة الظواهر الطبيعية ، والاحاطة بالعلوم الاجتماعية ، حتى تصلح أحوالهم فى هذه الحياة ، وقد نضجت هذه الفكرة فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان لها أنصار من مذهبهم ترجيح العلم على الأدب ، وتفضيل العلوم المادية على الفنون والآداب الروحانية — ثم إن هؤلاء الانصار انقسموا الى فريقين : فريق يقول بالثقافة العلمية مع العناية بالادب أيضاً ، وفريق يقول بالثقافة العلمية مع العناية بالاجتماع والعلوم الاجتماعية ومن أساطين المذهب الاول رابلى الفرنسى (١٤٨٣ — ١٥٥٣) وملتون الشاعر الانجليزى (١٦٠٨ — ١٦٧٤) ومن أشهر أنصار الثانى مونتين الكاتب النقادة الفرنسى الشهير (١٥٣٣ — ١٥٩٢).

ومن ذلك يتبين لنا أن الغرض من التربية انتقل من طور الادب والثقافة الفنية الاجتماعية الى طور العلم والثقافة العلمية الاجتماعية.

وعلى أثر هذين المذهبين قام ثالث يقول بوجوب الثقافة الحسية ويدعو الى العناية بالحواس التى هى أبواب المعرفة ومن مشاهير أنصاره فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦١ — ١٦٢٦) وجون ايموس كومينيوس الالمانى (١٥٩٢ — ١٦٧١) .

و — تهذيب العقل ورياضته

ومعنى ذلك تنمية العقل وتدريبه على التفكير وتعويده الوصول الى النتائج الصحيحة وقد نال هذا المذهب النصر المؤزر على أيدى مربين ظهروا فى القرن السابع عشر وعلى رأسهم جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) ومن رجاله كومب وبومان .

وقد كانت حجة الداعين إلى هذا المبدأ أن العقل له قوى خاصة منعزلة من الممكن تدريبها وتهذيب كل منها على حدتها ، وأن أحسن وسيلة لتدريب القوة المفكرة وتهذيبها هي تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ، وإدخال العلوم الرياضية فى منهج الدراسة ، وإن لم يكن لهذه المواد فائدة عملية فى الحياة .. وهذا هو معنى قول كومب « إنى أحرص على دراسة الكيمياء لا لذاتها ولكن لانى أرى فى دراستها تهذيباً للعقول وتنمية للمدارك »

وقول بومان « إن تهذيب العقول أغلى شيء يحرص عليه الانسان ، وإن العلوم الطبيعية كفيلة بتحقيق هذا الغرض اذا اتخذت أساساً للتربية والتعليم »

ومن ذلك يظهر لك أن هذا الفريق يرى أن الغرض من التربية يجب أن يكون تهذيب العقل ورياضته ولو بالمواد التى ليس لها قيمة عملية — والظاهر أن هذه حجة واهية أرادوا بها تبرير ادخال اللغتين اللاتينية والاغريقية فى منهج الدراسة بعد أن ظهر عدم فائدتهما .

هـ — تحقق الفرد من منزلته الشخصية

قام فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ثورة اجتماعية كبرى كان الغرض منها الخروج على التقليدات القديمة وتحرير الأفكار من الخرافات والعقائد الوضعية ، والقضاء على سلطة الكنيسة التى خرجت عن حدها . وإيجاد قواعد تعترف بالمساواة والحرية والأخاء وكون الناس أمام القانون والمجتمع سواء . والاعتراف بأن لكل فرد شخصية ومنزلة فى الحياة يجب أن تحترم ، وهذه الثورة الفكرية هى التي أدت الي الثورة الفرنسية الكبرى وما تلاها من الحروب الدامية التى انتهت بتحرير الأفكار وانشاء مذهب الفردية .

ومن حيث إن التربية من أكبر المظاهر الاجتماعية فقد كان من الضرورى أن تتأثر بهذه الثورة العظيمة التى أثرت على جميع نواحي الحياة ، ولذلك نرى المربين فى هذا العصر يضربون على نغمة واحدة ويدعون الى مذهب واحد هو الاعتراف بشخصية الطفل وبقدرته على تعليم نفسه بنفسه ووجوب اعطائه فرصة كافية لتهذيب نفسه بنفسه وتقويم قواه العقلية والجسمية والخلقية بتدخله .

غير أننا نرى روسو يقول بوجوب ترك الطفل لنفسه وتخلية الطريق أمامه واعطائه الحرية التامة والفرصة الكافية ليعيش معيشة طبيعية ، ويعالج المشكلات التى تصادفه فى طريقه ، ويصارع الطبيعة ، والطبيعة تصارعه حتى يتغلب عليها فيكون ذلك دليلا على صلاحيته للحياة أو تتغلب هى عليه فيكون ذلك برهاناً على عدم صلاحيته للبقاء عملا بقانون « تنازع البقاء » و « بقاء الأصلح » — بينما أنا نرى بستالتزى وفروبل وهربارت لا يسلكون تلك الطريق الوعرة التى سلكها روسو ، ولكنهم يقولون بوجوب إرشاد الطفل وهدايته أثناء سيره ، وقياده على حسب ما تسمح به طبيعته ، خشية أن يضل فى سعيه ويخفق فى سيره نحو الغاية المنشودة .

والخلاصة أن تحقق الفرد من شخصيته هي آخر مرتبة وصلت اليها الثقافة الشخصية التى هى الغرض الاول من التربية ، وانما كانت آخر مرتبة وأعلى منزلة لانها تستلزم تثقيفاً عاماً فى جميع مناحي الحياة .

٥ — المذهب المادي

هذه هى خلاصة التطورات التى حدثت للمذهب الاول أى المذهب الروحانى فى الغرض من التربية — والآن نود أن نذكر لك شيئاً عن المذهب الثانى وهو المذهب المادى أو النفعي الذى أخذ يتغلب على المذهب الروحاني منذ أوائل القرن التاسع عشر .

يريد الآخذون بهذا المذهب أن التربية لابد أن تعد النشء للقيام بواجبهم فى الحياة خير قيام ، فهم بذلك يميلون الي تقوية الناحية العملية المادية ، وهم فى اعتناق هذا المبدأ متأثرون بالنهضة العلمية الحديثة التى نرى من آثارها تقدم العلوم الطبيعيـة والاجتماعية بجميع فروعها ، وفي الفنون التى لها اتصال بتلك العلوم وهذا مع تأخر قليل أو كثير فى العلوم الروحانية والفنون الجميـلة ، وذلك كما هو مشاهد الآن فى أمريكا وأوربة حيث ترى الاقبال على العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية وقد وصل الى حد لم يصل اليه من قبل ، وحيث نشاهد التنافس فى معرفتها بين الافراد والامم وقد بلغ مبلغاً لا عهد للتاريخ به ، بينما نرى أن العلوم الروحانية والعلوم العقلية البحتة : كالفلسفة والاخلاق والمنطق والدين لا تنال فى هاتين القارتين نصيبها من العناية ولا تحتل المنزلة اللائقة بها فى مناهج الدراسة ، وهم إن عنوا بها فانما يكون ذلك لغرض نفعي عملي . ولهذه الغاية من التربية مزاياها وخطرها من الوجهة الحيوية ، ولكن الذى

يخشى منه أن يقضي التعلق بالمادة والعناية بالمنفعة المادية الي اهمال الناحية الروحية وضعف شأن الثقافة الشخصية ، وهذا ليس من العدل في شيء ، إذ من الواجب أن يعطي كل من الناحيتين نصيبها من العناية ، وأن تحل محلها اللائق بهما فى مناهج الدراسة ، وربما يكون من نتائج عدم القيام بهذا الواجب ، وعدم ملاحظة التوازن بين المذهبين أى مذهب الثقافة الشخصية والمذهب المادى ، قيام تلك المشاكل الخطيرة التى نقرأ ونسمع عنها كل يوم ، والتى تكاد ترجع الى أن ميل الامم المسماة بالمتحضرة الي الامور المادية قد زاد عن حده وأن الاقبال عليها قد اشتد أن قد ظن ذوو المطامع أن كل وسيلة موصلة اليها مبررة مهما كانت .

وهذا بالطبع ظاهر الخطأ لما ينشأ عنه من خلل فى المجتمع وهضم حقوق الضعفاء والمغالاة فى التنافس بين الامم والافراد الذى كثيراً ما يؤدى الي النزاع .

ومع هذا ليس من المعقول أن نطالب الامم بايقاف هذه الحركة أو نلوم الافراد على السعى المتواصل فى سبيل احراز القوة المادية التى هى قوام الحياة — ولكن نود أن ننعى على هؤلاء اتخاذهم القوة المادية وسيلة للتعدى على الغير ، وذريعة للقضاء على حقوق الضعفاء ، كما أننا نريد أن نأخذ عليهم نسيانهم حقوق الغير ، وتغاضيهم عن حريات الآخرين فى سبيل حصولهم على مطامعهم الشخصية .

فمن الضرورى والحالة هذه أن يوجه تيار التربية نحو أخذ النشء بمبدأين : أولهما تقوية النفس وثانيهما العناية بالغير والاعتراف بحقه فى الحياة ، فيصبح من الواجب على كل فرد أن يعنى بتربية نفسه وتقويتها وتهذيبها — على شريطة ألا يؤدى ذلك إلى إضعاف غيره بدون حق ، ومن غير ما مبرر ، وبعبارة أخرى يجب أن يصحب التربية المادية الشخصية تربية روحية اجتماعية .

٦ — المذهب الوطنى

مما تقدم ترى أن الغرض من التربية فى العصور الحديثة كان ولا يزال على كل حال مادياً أكثر منه روحانياً ، ونزيد لك هنا أن التربية فى هذه العصور قد اصطبغت بالصبغة الوطنية أى أن التربية الوطنية قد تجلت بأجلى مظاهرها فى العصور الاخيرة وأصبحت التربية خاضعة للسياسة بعد أن كانت خاضعة الدين فى القرون الوسطي ، وصارت الحكومة هى المسيطرة على التربية ، القابضة على أزمتها ، تسيرها كيف تشاء وأنى تشاء ، فأخذ الانجليز مثلا يعدون أبناءهم ليكونوا

انجليزاً ساعين لمصلحة انجلترا فقط ، وصار الالمانى يربى ولده ليكون ألمانياً ، باذلا جهده فى نصرة المانيا بقطع النظر عن غيرها من الامم .

وهذه التربية الوطنية مثل التربية المادية لها مزاياها التى لا تنكر ولا يسع الانسان إلا أن يعضدها لما ينشأ عنها من رقى الامم رقياً مطرداً برقي أبنائها وسعيهم فى إعلاء شأنها ، ولكن الذى نخشاه أن تؤدى تلك التربية الوطنية البحتة الي خلق الانانية فى نفوس الافراد والامم فيظن أفراد كل أمة أن إعلاء شأن أمتهم واجب مقدس بقطع النظر عن الطرق التى يسلكونها والوسائل التي يتخذونها للوصول الى غرضهم .

فكما أن التربية الشخصية المادية يجب أن يصحبها تربية روحية اجتماعية كذلك التربية الوطنية يجب أن تكون مشوبة بتربية انسانية يعرف بها الفرد واجبه نحو بنى الانسان و يعترف بحقوق الامم الاخرى فى الحياة ونصيبها من الحرية .

٧ — الخلاصة

مما تقدم كله يمكننا أن نقول إنه لم يكن هناك غرض واحد للتربية سعى نحوه المربون فى كل زمان ومكان ، بل إننا نرى أن كل أمة من الامم كانت تضع لها غرضاً من التربية يختلف باختلاف عصور حياتها و باختلاف منزلتها بين الامم الاخرى .

ومع هذا لا يصعب علينا أن نضع غرضاً للتربية يمكن انطباقه على كل زمان ومكان ، و يسهل تحويره على حسب الظروف والاحوال فنقول « إن الغرض من التربية هو جعل النشء قادرين على أن يعيشوا فى بيئتهم عيشة هنيئة مرضية »

ومن حيث إن البيئة تشمل الزمان والمكان والمجتمع الذي يعيش فيه النشء وجب أن يتغير الغرض الخاص من التربية بتغير هذه الاشياء .

٨ — التربية فى مصر

ومن هنا يظهر سبب خطئنا فى سياستنا التعليمية إذ أننا لا نلاحظ طبيعة بلادنا ، ولا نبذل جهدنا فى اصلاح الاغلاط التى وقع فيها من قبلنا ، بل لا نزال نسير على المناهج الدراسية المنقولة عن غيرها نقلا ، ولا نزال نتبع النظام الذى وضعه لنا غيرنا فى العصور الماضية مع تعديل بسيط لا قيمة له .

وأهم ما نلاحظ على هذا النظام الحاضر على الرغم مما دخله من التحسينات ما يأتي : —

١ — عدم العناية بالتعليم الزراعى كما يجب مع أن الزراعة عماد حياتنا إذ أن بلادنا زراعية قبل كل شئ ، ولست أريد بتعلم الزراعة معرفة كيفية تسمير الاراضى بطرق نظامية علمية فقط ، ولكنى أريد ما يشمل كيفية تربية المواشى والدواجن والانتفاع بمنتجاتها الى أقصى حد ممكن . وإنى أرى من الواجب أن تكون الزراعة العلمية والعملية من المواد الاساسية على الاخص فى مدارس الارياف الابتدائية والاولية .

وهذا لا يمكن إلا بعد إعداد مدرسين أكفاء عالمين بالزراعة من جهة وقادرين على التدريس النظامى من جهة أخرى ، ولهذا أقترح أحد أمرين : فاما أن تدرس الزراعة بمدارس المعلمين والمعلمات وإما أن تلغى دروس فى التربية والتدريس بمدارس الزراعة كى يكون خريجوها قادرين على تدريس الزراعة بالمدارس المختلفة تدريسا جيداً .

٢ — إن التعليم فى بلادنا لا يزال نظريا أكثر منه عملياً وهذا بالطبع من بقايا العصور الماضية ومن أوزارها التى انتقلت الينا ، اذ كان الغرض من التربية فى تلك العصور إعداد آلات حكومية تقوم بأعمال الدواوين الكتابية ، وقد كان من آثار هذا النظام العقيم العتيق أن زاد عدد هذه الآلات عن الحاجة ، فوجدت أزمة فى الوظائف وكثر عدد العاطلين من المتعلمين الذين تعلموا تعلما نظريا لدرجة يخشى علينا من نتائجها الاجتماعية الخطرة .

ولا مخرج من هذا المأزق إلا بتوسيع نطاق التعليم الصناعى والزراعى والتجارى كى يقل عدد العاطلين من المتعلمين من جهة ويعلو شأن الصناعة والزراعة والتجارة من جهة أخرى . كذلك يجب أن نعنى بالتعليم العملى فى المدارس الابتدائية وبمدارس المعلمين والمعلمات وفى القسم الاول من التعليم الثانوى ، وأعنى بالتعليم العملى ما يشمل الاعمال اليدوية بجميع أقسامها والرياضة العملية ، وفى رأيى أن تعلم الاقتصاد ومسك الدفاتر أكثر فائدة لطلبة المدارس الثانوية من قشور المنطق وعلم النفس التى لا تفيدهم .

٣ — إن تعليم البنات فى بلادنا ليس بحالة مرضية

والخطأ الأساسى الذى يرتكب فى تعليم البنات هو تقليد الأجانب مع عدم ملاحظة ما تتطلبه الحياة المنزلية من إصلاح سريع وما يحتاجه من عناية خاصة ، وبقطع النظر عن حالة البلاد الاجتماعية الماضية والحاضرة وعن الغرض الأساسى من تعليم البنت

وقد أدى هذا التقليد إلى أن منهاج الدراسة فى مدارس البنات الابتدائية والثانوية يكاد يكون مماثلا لمنهاج الدراسة فى مدارس البنين وفى رأيى أن هذه التسوية أو المشابهة بين البنين والبنات سابقة لأوانها فى بلادنا .

فمن الضرورى أن تكون مناهج التعليم في مدارس البنات فى الوقت الحاضر على الأقل غيرها فى مدارس البنين . وأساس هذا الاختلاف يجب أن يكون ملاحظة طبيعة البنت ، ومراعاة الغاية الخاصة من تربيتها ومعرفة مهنتها فى الحياة معرفة تامة كى يكون إعدادها لهذه الغاية مبنيا على أساس متين .

وما دام الغرض الاساسى من تعليم البنات يجب أن يكون إعدادهن لأكبر مهنة يقوم بها الانسان وهي تربية النشء ورعاية شؤون المنزل على الوجه الأكمل فمن الواجب أن يكون للمواد التى لها علاقة بهذين الامرين الشأن الاول فى منهاج تعليم البنات . فانا فى وقتنا الحاضر الى مربيات قادرات أحوج منا الى محاميات وقاضيات وكاتبات وعالمات فى الطبيعة أو الكيمياء أو الجغرافيا أو التاريخ ، اذ المحامون والقضاة والكتبة والعلماء عندنا كثيرون والمناصب أمامهم محدودة ، ولا معنى لما قد يفهم بعض المغالطين من أنى أرمى بذلك الى أن تخرج مدارسنا المخصصة للبنات خادمات لا سيدات عالمات مماثلات للرجال فى العلم والادب — اذ أنى أدعو الى أن تربية البنت فى أدوار التعليم الاولى أى فى المدارس الاولية والابتدائية والثانوية يجب أن تكون لها صبغة خاصة يلاحظ فيها طبيعة البنت ومركزها فى المجتمع ومهنتها فى الحياة وحاجة الامة الى مساعدتها من جهة خاصة ، وهذا لا يمنع مطلقا من أن التى تأنس فى نفسها تفوقا خاصا فى ناحية من نواحي العلم والمعرفة يصح لها بل يجب عليها أن تكمل دراستها وتتخصص لتلك المادة التى تشعر من نفسها ميلا شديداً نحوها .

على أنه لا يضير السيدة العالمة التي تتخصص فى مادة من المواد أن تكون على علم تام بشؤون التربية وتدبير المنزل ، بل من الواجب عليها قبل أن تأمر خادمتها أو مربية أولادها أو مربية أحد أقاربها بأمر من الامور المتعلقة بالتربية أن تكون واثقة من أن ما تأمر به صحيح ضرورى مفيد للطفل ، أى أنه يجب أن تكون أوامرها مبنية على أساس علمى متين .

وإنى أكاد أسمع من يهمس فى أذني قائلا « إنك لم تأت بجديد » ! ألا ترى أن الوزارة تعنى بالتدبير المنزلى فى مدارس البنات ؟ وألم تسمع أنها ستنشىء داراً تسمى دار التدبير المنزلي ؟ »

وإني إزاء ذلك لا يسعني إلا أن أرحب بهذه الفكرة وأرجو أن تخرج الى حيز الوجود في القريب العاجل وأن يكون نصيبها من النجاح كبيراً .

ولكني مع ذلك أقول إن شؤون التربية لا يكاد يكون لها وجود في مدارس البنات الابتدائية والثانوية وأن ما يعلم من التدبير المنزلي خاص ببعض المدارس أو قاصر غير واف بالمطلوب في البعض الآخر — فمن الضروري التوسع في تعليم هاتين المادتين بحيث يكون لهما أكبر عدد ممكن من الحصص ، ومن الواجب جعل تعليمهما عاما في جميع مدارس البنات.

٤ — وهناك ملاحظة رابعة لا تقل أهمية عن الملاحظات السابقة وهي أني أرى مع الأسف الشديد أن التربية الدينية والخلقية آخذة في الضعف في مدارسنا المصرية ، مما أدى الى انحلال الاخلاق بعض الانحلال في المجتمع المصري ، وليست وزارة المعارف وحدها مسئولة عن ذلك وليس السبب الوحيد هو ضعف التعليم الديني في مدارس البنين والبنات ولكن يضاف الى ذلك ضعف التربية المنزلية وتأخر المجتمع من الوجهة الخلقية وضعف الرابطة التي يجب أن تكون بين رجال التعليم بعضهم وبعض من جهة ، وبينهم وبين المتعلمين من جهة أخرى ، وبينهم وبين الاباء من جهة ثانية . وعدم سعي رجال التعليم سعيا جديا في تشخيص الامراض الخلقية التي يصاب بها الطلبة ومعرفة الادوية الناجعة لها وبذل الجهد في علاجها كلما سنحت الفرصة — فكل هذه الامور مجتمعة قد أدت الى تلك الحالة الاخلاقية التي لا توازي الحالة العلمية الحسنة التي وصلت اليها البلاد .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الضعف الاخلاقي ظاهر جداً في هذه البلاد لدرجة أننا أصبحنا ونكاد نعتقد أن الغرض من التربية هو التعليم وتلقين المعلومات وملء رءوس النشء بالمواد المختلفة فقط بقطع النظر عن الوجهة التهذيبية وعن العناية باخلاق التلاميذ قبل العناية بعقولهم وأجسامهم — وهذا لعمري إهمال بين في الناحية الكبرى من نواحي التربية وهي الناحية الخلقية أو الروحية مع العلم بأن التربية الصحيحة يجب أن تعنى بالروح والخلق عنايتها بالجسم والعقل .

فلهذه الاسباب كلها أرى أنا في حاجة شديدة الى وضع نظام جديد للتربية يكون الغرض منه إصلاح هذه الاغلاط والتخلص من قيود الماضي ، فالحياة في تجدد والامم في تقدم ، ونحن لا نزال متمسكين بنظام لم يتغير إلا قليلا عن أنظمة العصور الغابرة التي أخذناها عن غيرنا .

وسنتناول في الاعداد القادمة البحث في مواضيع أخرى متعلقة بالتجديد في التربية إن شاء الله تعالى .

حامد عبد القادر